# إنا على دربك يا أبي لسائرون

دفاع صالح ناجي

أربعون ليلة مضت منذ ذلك المساء الذي دلـف وفي طياته نبأ الغفوة الأخيرة لتلك العينين اللتين كنا نبصر بهما كلما احتل الدجى أبصارنا ..

شهر وأكثر مضى يا أبي منذ غيابك الحاضر في أنين تلك الجدران ذات البصمة النزيهة .. أربعون يوماً مرت منذ أن تباطأ دوران عقارب الساعة النابضة في جدار بيتنا الذي أسس بأعمدة شمائلك النبيلة ..

سنحدق في كل ليل بهيم علنا نلمح ضوء ابتسامتك، وسيظل ألم الحنين يتتابع في حنايانا ما تعاقب الليل والنهار .. وستختبر الحياة صبرنا كثيراً بعدك يا أبي ؛ غير أن لدروس الصبر الجميل التي تزودنا بها منك يا خير معلم لنا أثرها المتجذر في نفوسنا الحزينة التي أضحت تستحضر كلماتك وأفعالك كأشرعة نجاة ..

لا إشراق لصباحاتنا في أربعين نهاراً دون صوتك يا أبي ؛ إلا أننا نجد تفاصيلك تجتاح لهيب الأيام التي مرت كجمرات لظى في صيف شديد الحرارة ، ما كانت لتمر ساعاته لولا نسمات روحك التي تهفو علينا كظل الغمامة ..

روحك السامية يا أبي التي رجفت لغيابها أكباد البسطاء، فأبكاهم رحيلك متوجعين : " لمَ تركتنا يا أبا المساكين ! "

فليتك تعلم يا أبي عدد الأكف التي رفعت مبتهلة : " اللهم إن صالحاً كان محباً للخير ، ساعياً له، عاملاً به ما استطاع .. فاجعله يا رب من ورثة جنة النعيم " .

ليتك تعلم يا من أيقظتْ مضجعك في ليالٍ كثيرة أوجاع المهمومين أن وجع غيابك قد صار يحرمهم لذيذ منامهم .. وتلك الجموع التي تسابقت لتحمل على أكتافها جثمانا طاهرا ظل كتفه مثقلا بهموم الآخرين على مدى حياته العامرة بالصدق ..

ستفتقد مسيرة التصالح والسلام خطواتك المقبولة عند كل المختلفين، وسيتذكر المخلصون أن مسيرة حياتك انتهت في طريق الخير، فمضى دمك نازفا في جسدك بصمت لكأنها لحظة تختصر حياتك الهادئة النقية ..

ستظل يا أبي نموذجاً خالداً لكل الأوفياء .. وستظل (عالمي الفريد الذي لا يشبهه عالَما ) – كما اعتدت وصفك – ستظل كذلك حتى بعد صمتك الأبدي الذي اتشحت به ومضيت إلى ربك بقلب سليم ، تاركا لنا ثروة زاهد تسمو فوق كل مقدار وثمن .. هي زادنا وظلنا الظليل لنكمل بها مشوار الحياة ..

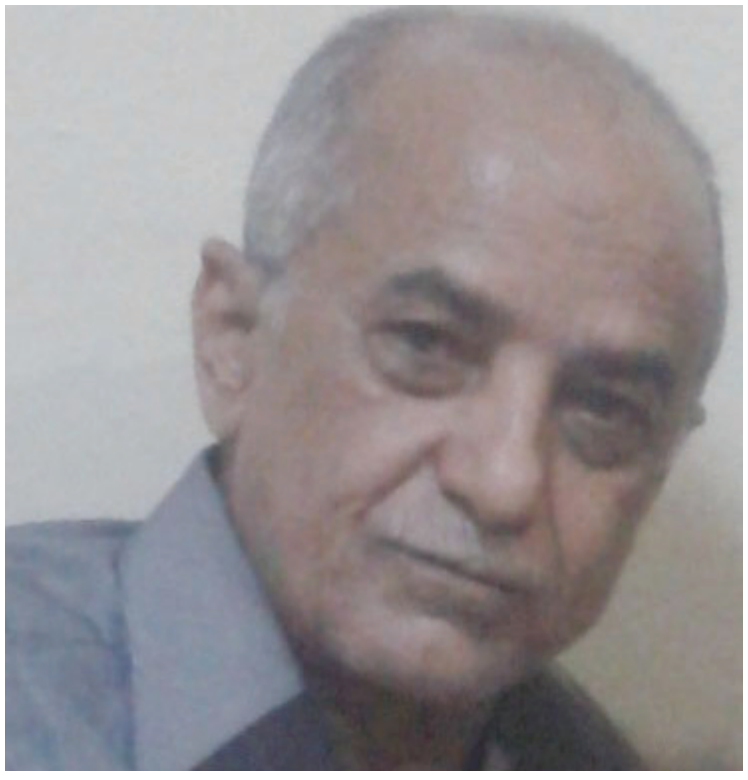

فعهداً لك يا أبي إنّا على منوالك الذي ارتضيت إن شاء الله لسائرون ..

# وترجل الفارس النجيب ..

كتب / فضل سعيد شايف

ببالغ الأسى والحزن تلقيت خبر رحيل أخي و رفيقي وصديقي نجيب قاسم صالح تاريخ 18/9/2016 م بعد صراع طويل مع المرض الذي ألم به منذ فترة.

لقد عرفت ورافقت وزاملت الفقيد منذ منتصف السبعينات حتى منتصف ثمانينيات القرن الماضي من خلال عملنا المشترك في منظمة الحزب ردفان لفترة امتدت تقريباً عقدا من الزمان حينما كان رئيسا للجنة التفتيش المالي بالمديرية ، وكنت السكرتير الأول لمنظمة الحزب الاشتراكي م/ الحبيلين ، قبل أن تبعدنا عن بعضنا ظروف الدراسة والعمل لفترة من الزمن.

لقد رحل عنّا صاحب الابتسامة والاستقامة.. رحل الرجل الخلوق في وقت يفتقد فيه الكثير اليوم لتلك القيم والأخلاق الحميدة الفاضلة.. رحل عنا هذا الإنسان الرائع دوما وأبدا لتبقى معنا سلوكه وقيمه وأخلاقه وحبه وتقديسه لكل ما هو جميل.

لقد رحلت عنا أيها النجيب ونحن في غفلة من الزمن، في ظل الظروف والأوضاع التي كانت قد فرضتها علينا ظروف عدة خصوصاً ما بعد عام 1990م وكانت الحرب الحالية ومشكلاتها آخرها .

فعلا لقد حالت هذه الظروف دون أن تجعلنا نرى ونسمع بعضنا كما هي عادتنا ، وجعلت كلاً منا يهيم وراء مشاغل وهموم الحياة ومتاعبها وما أكثرها في هذه الظروف وكأنها وجدت خصيصاً لتخرجنا عن ما ألفناه في أمورنا الحياتية التي نشأنا وترعرعنا في رحابها.

لقد رحلت إلى باريك – صديقي الخلوق – في وقت كنا بأمسّ الحاجة إليك وإلى لقاءات جديدة تجمعنا معك لنعيد فيها ولو جزءاً يسيراً من شريط ذكريات الماضي الجميل الذي عشناه سوياً مع رفاق وأصدقاء آخرين.

إنها حقاً ذكريات يستحيل على من عاشوها أن ينسوا تفاصيلها، كان معدنها الصدق وجوهرها الألفة وروحانية العمل والوفاء لبعضنا التي جبلت عليها أيها الرفيق ورفاقك خلال تلك السنوات ، أتذكر أخي نجيب لقاءاتنا ومرحنا ودردشاتنا مع بعضنا ونحن في ريعان الشباب ننظر بتطلع إلى مستقبل يسوده العدل والسلام والمحبة والوئام والطمأنينة ، كنا فيه نحلم بغد جميل نستكين فيه نحن وأولادنا وشعبنا دون تمييز. هكذا ترسخ هذا الحلم وهذا الوعي في وجدان غالبية جيل ذلك الزمن وتعمقت قناعات حب الوطن والشعور بالمسؤولية والبساطة والأمانة والتواضع كسلوكيات اجتماعيه أخذت طريقها ابتداءً من الأسرة والمدرسة والعمل ثم غدت كمسلكيات عامة في الشارع العام بمعنى كانت سلوكاً سائداً في جيل بأكمله تحت رعاية واهتمام الدولة وأصبحت واقعاً اعتاده الناس ..

أتذكرك وأتذكر زملاءنا الذين عشنا معاً في تلك الأيام والليالي التي قضيناها مع بعضنا ..أتذكرهم فردا فرداً، أتذكر منهم رفاق غادرونا قبل رحيلك بسنوات كنا ذات يوم نشكل معاً فريق العمل الواحد الذي لا نشعر من خلاله إلا أننا جنوداً لهذا الوطن الغالي الذي لم نحسب ساعات دوامه أو نبحث عن أجرة عمله الإضافي أو حافزه النقدي أو بدلاته المختلفة ..

أتذكر و أتذكر العديد من سنوات العمر التي نذرناها تقديساً لشيء اقتنعنا فيه و أحببناه ،أتذكر كل الرفاق والزملاء الذين عشنا معهم وإياك بحب ووئام وكيف كانت أحيانا تحفزنا التباينات مع بعض وتدفعنا إلى تقديم ما كنا نراه الأفضل، وكيف كنا نختلف ثم نعوده إلى بعضنا بكل ود ومصداقية وأريحيه وبروح خالية من أي حقد و ضغينة. أتذكر أن العمل وحبه وتحسين آلياته وتطويره كانت مصدرا لبعض اختلافات الرفاق ولم يكن قط مصدرها الاختلاف على نهب أو نصب أو احتيال ، هذا الفعل الآخذ اليوم بالانتشار في نفوس الكثيرين دون وازع ديني أو ضمير أخلاقي و إنساني يردعهم ، بل أخذ في الانتشار والتمدد وكأنها عدوى فيروسية تنتقل وتنتشر بين الناس و مع الأسف أن ذلك يحصل بحماية من أولياء النعمة وسكوت المجتمع.

أخي نجيب .. إن قائمة الذكريات طويلة وجميلة بجمال زمنها الجميل عشنا معاً بعض فصوله وتفاصيله والذي لا يتسع المجال في مرثية عاجلة كهذه إلى استعراض مناقبه ولما شكله من وقع جميل في نفوسنا ولما تركه من تأثير خلد في الوجدان وثبت في تلابيب الذاكرة الإنسانية لكل من عاشوا هذه التجربة ، وأشعر أنه كلما مرّ يوم أزاد بريقها ولمعانها في النفس كمعدن نفيس لم يصدأ مع تقادم الزمن بل كلما مرّ به الوقت زاد بريقاً ولمعاناً ..رفيقي وأخي نجيب.. أشعر أنني مهما استرسلت بالكتابة ومهما قلت عنك من رثاء إلا أن لديّ قناعة أكيده من إن كل ما أقوله أو أحاول كتابته لا يفي بسرد سيرتكم الذاتية العطرة لأنها من النوع الذي يصعب اختزالها بجرة قلم ، طالما و أنت بنيت شخصيتك في عمق ووجدان الناس خلال عقود من الزمن ..وأجدها هنا فرصة مواتية لدعوة كل الرفاق و الأصدقاء وكل من عرفك للكتابة عنك أيها الرجل و الإنسان الذي أعطيت وطنك كلما لديك ولم تبخل بحياتك يوماً ومع ذلك لم تنل كلما تستحق..

عظيم التعازي لأولادك وإخوانك جميعاً.

سائلاً الله العلي القدير أن يتغمدك في واسع رحمته ويسكنك فسيح جناته ، و إنا لله و إنا إليه راجعون ، و لا حول و لا قوة إلا بالله.